@AnteliasDiocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد الخامس من زمن الصوم: أحد شفاء المخلّع

الأخت دولّي شعيا (ر.ل.م.)

(١ طيم ٥: ٢٤-٦: ٥)

٢٤ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَكُونُ خَطَايَاهُم وَاضِحَةً قَبْلَ الحُكمِ فِيهَا، ومِنهُم مَنْ لا تَكُونُ واضِحَةً إلاَّ بَعْدَهُ.

٢٥ كذلِكَ فَإِنَّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ هِيَ أَيضًا وَاضِحَة، والَّتي هِيَ غيرُ واضِحَةٍ فَلا يُمْكِنُ أَنْ تَبْقَى خَفِيَّة.

١ على جَمِيعِ الَّذِينَ تَحْتَ نِيرِ العُبُودِيَّةِ أَنْ يَحْسَبُوا أَسْيَادَهُم أَهْلاً لِكُلِّ كَرَامَة، لِئَلاَّ يُجَدَّفَ عَلى إسْمِ اللهِ وتَعْلِيمِهِ.

٢ أَمَّا الَّذِينَ لَهُم أَسْيَادٌ مُؤْمِنُونَ فلا يَسْتَهِينُوا بِهِم، لأَنَّهُم إِخْوَة، بَلْ بِالأَحْرَى فَلْيَخْدُمُوهُم، لأَنَّ المُسْتَفِيدِينَ مِن خَدْمَتِهِم الطَّيِّبَةِ هُم مُؤْمِنُونَ وأَحِبَّاء، ذلِكَ مَا يَجِبُ أَنْ تُعَلِّمَهُ وتَعِظَ بِهِ.

٣ فَإِنْ كَانَ أَحدٌ يُعَلِّمُ تَعْلِيمًا مُخَالِفًا، ولا يَتَمَسَّكُ بالكَلامِ الصَّحِيح، كَلامِ ربِّنَا يَسُوعَ المَسِيح، وبِالتَّعْلِيمِ المُوَافِقِ للتَّقْوى،

٤ فهُوَ إِنسَانٌ أَعْمَتْهُ الكِبْرِيَاء، لا يَفْهَمُ شَيْئًا، بَلْ مُصَابٌ بِمَرَضِ المُجادلاتِ والمُمَاحَكَات، الَّتي يَنْشَأُ عَنْهَا الحَسَدُ والخِصَامُ والتَّجْدِيفُ وسُوءُ الظَّنّ،

٥ والمُشَاجَرَاتُ بينَ أُنَاسٍ فَاسِدِي العَقْل، زَائِغِينَ عَنِ الحَقّ، يَظُنُّونَ أَنَّ التَّقْوى وَسِيلَةٌ لِلرِّبْح.

مقدّمة

في الأحد الخامس من الصوم، نتأمَّل مع كنيستنا المارونيَّة في مفهوم التخلُّع. ففي رسالته الأولى إلى تلميذه طيموتاوس (١ طيم ٥: ٢٤ - ٦: ٥)، يُحذّرنا مار بولس من بعض أسباب التخلُّع الروحي "المجادلات والمماحكات" الَّتي ينتج عنها "الحسد، والخصام، والتجديف، وسوء الظنّ، والمشاجرات..." (١ طيم ٦: ٤)، فكلُّ الأعمال مكشوفةٌ أصالحة كانت أم لا.

كان بولس يعلَم بأنَّ التفرُّغ للعمل التبشيريّ من قِبل المبشّرين ومعلّمي الكلمة (١ طيم ٤)، وبوجود قيادةٍ أمينة (١ طيم ٣)، سيأتي للكنيسة بحصادٍ كثير. لكن، عندما تنمو الكنيسة، تبقى التجربة الكبرى كيفيَّة المحافظة على أسس التبشير والانسجام في العلاقات.

بتشخيص خطورة هذه التجربة، أعطى بولس إرشاداتٍ حكيمة في رسالته الأولى إلى تلميذه طيموتاوس، ليضمن وجود علاقةٍ جيّدة بين الإخوة مع بعضهم البعض. وكان يهتمُّ بفارق الأعمار (١ طيم ٥: ١-٢)، وبحاجات الأرامل (١ طيم ٥: ٣-١٦). وتحدَّث أيضًا عن العلاقة بين الأساقفة والأعضاء (١ طيم ٥: ١٧-٢٥)، ومن ثمَّ أعطى إرشادات للتوازن بين القواعد المسيحيَّة

والمشاكل الاجتماعيَّة، مثل العلاقة بين العبيد والسَّادة (١ طيم ٦: ١-٢).

شرح الآيات

٢٤ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَكُونُ خَطَايَاهُم وَاضِحَةً قَبْلَ الحُكمِ فِيهَا، ومِنهُم مَنْ لا تَكُونُ واضِحَةً إلاَّ بَعْدَهُ.

٢٥ كذلِكَ فَإنَّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ هِيَ أَيضًا وَاضِحَة، والَّتي هِيَ غيرُ واضِحَةٍ فَلا يُمْكِنُ أَنْ تَبْقَى خَفِيَّة.

بعض "الخطايا واضحة" وأيضًا "الأعمال الصَّالحة". كذلك، بعض الخطايا خفيَّة وأيضًا الأعمال الصَّالحة. لا يتوقَّف الأمر عند عدم وجود "خطايا ظاهرة"، وإنَّما إن كانت الخطيئة واضحة بمظهرها أو ستظهر كذلك في ما بعد، لا يمكننا الهروب من حقيقة أنَّ خطيئتنا ستُعلَن. علمًا بأنَّ "خطايا بعض النَّاس واضحة"، لا بدَّ أن نجمع الحقائق ونتجنَّب التسرُّع في اتّخاذ القرارات والأفعال (راجع ١ طيم ٥: ٢٢). ومهما حاولنا إخفاء الأحداث "ما من خليقة تخفى أمامها (كلمة اللّٰه)، بل كلُّ شيءٍ عارٍ ومكشوفٌ أمام عينيها" (عب ٤: ١٣).

١ على جَمِيعِ الَّذِينَ تَحْتَ نِيرِ العُبُودِيَّةِ أَنْ يَحْسَبُوا أَسْيَادَهُم أَهْلاً لِكُلِّ كَرَامَة، لِئَلاَّ يُجَدَّفَ عَلى إسْمِ اللّٰهِ وتَعْلِيمِهِ.

واحدة من أعظم التجارب الَّتي واجهتها المسيحيَّة في القرن الأوَّل كانت العبوديَّة. حتَّى في هذا النطاق، وضع بولس خطَّة توصيةٍ للعبيد الَّذين قبلوا الإيمان المسيحيّ ليلتزموا بها. يوجّه الرَّسول حديثه إلى العبيد الَّذين هم "تحت نير العبوديَّة"، كمن يشعر بأثقالهم. ليس بمقدور بولس أن يرفع عنهم هذا النّير، لكنَّه يقدّم لهم إمكانيَّة جديدة فوق ما هو مادّي ونفسيّ. فلا يتطلَّع العبد إلى نفسه وهو تحت "نير العبوديَّة" كمن هو في مذلَّة، بل يرتفع بقلبه فوق النّير. بهذا المنظار، يرفع الرَّسول العبد فوق كلّ الظُّروف المحيطة به، فيحقّق غايته حتَّى وإن كان عبدًا لسيّدٍ عنيف. هنا ترد الكلمة "كرامة" (راجع أيضًا ١ طيم ٥: ٣، ١٧ "أكرِم...لكرامة"). الإكرام هنا هو "للأسياد"، بحيث يتفوّق إخلاص العبد "لتعليم الرَّبّ" على القواعد الاجتماعيَّة. يُعتبَر هذا النَّوع من الخدمة أمرًا رائعًا، إذ لا يشكُّ العبد أبدًا بالَّذي يسود عليه، لا بل يقوم بأكثر ممَّا هو مطلوب منه، ليقوم بعمل التَّقوى أو بخدمةٍ كنسيَّة (راجع روم ١٢: ٢٠، ٢١)؛ والسَّبب في ذلك "لئلَّا يُجدَّف على اسم اللّٰه وتعليمه" (راجع مز ٧٤: ٢٨-٢٣).

٢ أَمَّا الَّذِينَ لَهُم أَسْيَادٌ مُؤْمِنُونَ فلا يَسْتَهِينُوا بِهِم، لأَنَّهُم إخْوَة، بَلْ بِالأَحْرَى فَلْيَخْدُمُوهُم، لأَنَّ المُسْتَفِيدِينَ مِن خِدْمَتِهِم الطَّيِّبَةِ هُم مُؤْمِنُونَ وأَحِبَّاء. ذلِكَ مَا يَجِبُ أَنْ تُعَلِّمَهُ وتَعِظَ بِهِ.

يوصي بولس الرَّسول تلميذه طيموتاوس بأن "يعلّم ويعظ"؛ بالتَّعليم يقدّم الإيمان المستقيم، وبالوعظ يحوّل العقيدة إلى حياةٍ عمليَّة وتطبيقٍ سلوكيّ. وإن كان يجب على العبد أن يخضع

لسيدّه "وألّا يستهين به". فكم بالحريّ ينبغي أن يخضع الانسان لله.

٣ فَإِنْ كَانَ أَحدٌ يُعَلِّمُ تَعْلِيمًا مُخَالِفًا، ولا يَتَمَسَّكُ بالكَلامِ الصَّحِيحِ، كَلامِ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ، وبِالتَّعْلِيمِ المُوَافِقِ للتَّقْوى،
٤ فهُوَ إِنسَانٌ أَعْمَتْهُ الكِبْرِيَاءُ، لا يَفْهَمُ شَيْئًا، بَلْ مُصَابٌ بِمَرَضِ المُجادلاتِ والمُمَاحَكَاتِ، الَّتي يَنْشَأُ عَنْهَا الحَسَدُ والخِصَامُ والتَّجْدِيفُ وسُوءُ الظَّنّ،
٥ والمُشَاجَرَاتُ بينَ أُنَاسٍ فَاسِدِي العَقْلِ، زَائِغِينَ عَنِ الحَقّ، يَظُنُّونَ أَنَّ التَّقْوى وَسِيلَةٌ لِلرِّبْح.

كان بولس قلقًا بخصوص ما يقع فيه الناس من خلط بين التعاليم ووجهات النَّظر بالنسبة إلى الرّبح الماديّ والأولويّات. لذا يوضح لطيموتاوس أنّ المعلّم الكاذب هو الَّذي "يعلّم تعليمًا مخالفًا، ولا يتمسَّك بالكلام الصَّحيح، كلام ربّنا يسوع المسيح، وبالتَّعليم الموافق للتقوى" (١ طيم ٦: ٣).

ثمَّ يبدأ بولس بعرض ثلاث مميّزات لمشاكل يسبّبها المعلّم الكاذب:

١. إنَّه "إنسانٌ أعمته الكبرياء" (١ طيم ٦: ٤)، وينبغي أن لا نتعجَّب إن كانت أعماله هي الجهل والحماقة، لأنَّ المتكبّر أعمى لا يرى الحقيقة. فالكبرياء يتحوّل إلى "مجادلات ومماحكات" تُفسد حياة الانسان وتنزع منه روح التقوى، لا بل تدفعه "إلى الحسد والخصام والتجديف وسوء الظنّ"، فتنشأ منازعات فاسدة كلُّها خبثٌ وليس فيها شيءٌ من الحقّ. بهذا تتحوَّل التقوى إلى تجارة أو "وسيلة للرّبح"، إذ يعمل أصحاب المنازعات لا لحساب المسيح وبنيان الكنيسة، وإنَّما لحسابهم الخاصّ.

٢. "لا يفهم شيئًا" (١ طيم ٦: ٤). جمع بولس هنا كلمة "يفهم" بأداة النَّفي "لا"، واصفًا بدقّة المخادع الَّذي لا يخضع للحقّ. إنَّه شخصٌ لا ينتبه إلى "الكلام الصَّحيح" (١ طيم ٦: ٣) الَّذي قد يساعده كي ينمو في الفهم. إضافةً إلى أفكاره الملتوية، يتصرَّف كمن هو مصدر الحقّ والمعرفة. تمَّ وصف أمثاله سابقًا في الرّسالة، إذ قال بولس: "أرادوا أن يكونوا معلّمي الشَّريعة، وهم لا يدركون ما يقولون ولا ما يؤكّدون" (١ طيم ١: ٧).

٣. "مصابٌ بمرض المجادلات والمماحكات" (١ طيم ٦: ٤). قد يتفوَّق أحدٌ في الجدال لأنَّه "مريض" يشتهي بذهنه الفاسد المباحثات والنزاع. يستهلك كلّ قواه في "المماحكات" الكلاميَّة؛ "يسبّب المشاجرات" (١ طيم ٦: ٥) فأصبح "فاسد العقل"

تنتج عن طريقة حياة المعلّم الكاذب هذه ثمارٌ رديئةٌ كلّها، إذ يعاني من "الحسد"، ولا يفرح بنجاح الآخرين؛ يحرّض على "الخصام"؛ ويرعى "التجديف"، إذ يتكلّم بشرّ على الآخرين، أو يجعل الآخرين يتكلَّمون ضدَّ الله أو ضدَّ الكنيسة؛ ويصل إلى حدّ "سوء الظنّ" فيشكّ في أيّ عملٍ يقوم به الآخرون.

هؤلاء هم "أناسٌ فاقدو العقل" منشغلون بعمل ما هو خبيث بين الإخوة، ويظنُّون أنَّ "التقوى

وسيلةٌ للرّبح" (١ طيم ٦: ٥). ذلك يجعل لثمارهم خطورةً مضاعفة: يخاطرون بأنفسهم وبنفوس الكثيرين من الّذين يتأثّرون بهم. إنّها مشكلة شائعة، لأنّها ازدواجيّة تستغلُّ الإيمان للوصول إلى أهدافٍ خاصّة. فيظهر الانسان بمظهر التقوى وهو بعيدٌ كلّ البعد عنها. وهذا هو التخلُّع بحدّ ذاته!

خلاصة روحيّة

ليست العلاقة مع اللّه مبدأً تجاريًّا قائمًا على قاعدة التبادل "اعطيني تا أعطيك"، بل هي وسيلة تواصلٍ مع اللّه تمكّن المؤمن من فهم إرادته ومشيئته، ومن عرض صعوباته أمامه. أمّا من يظنّ أنّ "التقوى وسيلةٌ" لكسب مكافأةٍ هي "الحياة الأبديّة"، فيكون كالوثنيّين الّذين تعاملوا مع آلهتهم على مبدأ انتظار المكافأة في هذه الأرض. بينما "الحياة الأبديّة ليست مكافأةً على أعمالٍ قمنا بها، بل وفق "معرفة الإله الواحد الحقّ" (يو ١٧: ٣).

لذا تدعونا رسالة هذا الأحد كي نساهم في الحدّ من "التخلُّع الروحيّ"، ونطلب من الرَّبّ أن "يثبّتنا على الأمانة الكاملة له، ويرسّخ فينا ذكرى آياته وتعاليمه الإلهيَّة" (سدرو صلاة الغفران في خدمة قدّاس أحد شفاء المخلّع). لأنّه إن أصاب التخلُّع منّا الفكر والقلب، يشلّ رجاءنا ويمنع عنّا الاندفاع في الخدمة ويضرب عزيمتنا وجهدنا من أجل النموّ، ويعطّل فينا الإيجابيَّة بالاستسلام لليأس. لكنَّ وقفةً مؤمنة واحدة بقدرة المسيح كافية لتشفينا من تخلّعنا، مهما كان حجمه.